الوزير محمد بن أحمد الرشيد

عبد الله بن محمد الهويمل

الوزيـر محمد بن أحمـد الرشيد.. أراد أن يكتب قصة تتميـز بمصداقية بالغة فيما يتعلـق بشرح ماضينا التعليمـي والتربوي (النظـام التعليمي) بكل إيجابياتـه وسلبياته، وكرس جهـده وانطلق ينـادي التربويين والآباء والأمهـات كافة إلى لعـب دور في تكوين نظامنـا التعليمـي الحاضر، ونسج منظومة الأمل بالتفـاؤل للمستقبل، لم يكن يتطلع إلى التفوق على الأنظمة التعليمية السائدة، بل كان يريد أن يؤسس لنظام تعليمي فريد وقوي وجديـر بالإعجاب ومفتـوح على التطلعات والطموحات الإنسانيـة كافة التي لم تتحقق.. الكل كان يتمنى ذلك.. الطالب، المعلم، الأب المسؤول ولا أكثر من ذلك.

وبدأ يسجل ويطرح كثيراً من الأسئلة، ويجيب عليها في الوقت نفسه، ومنها:

١ ـ كيف نكون أمة عظيمة؟.. وأجاب.. وراء كل أمة عظيمة تربية عظيمة.

٢ ـ هل لدينا إدارة تربوية مدرسية؟.. وأجاب.. وراء كل إدارة تربوية ناجحة قيادة تربوية ناجحة.

٣ ـ من هم المشـرفون التربويون؟.. وأجاب.. هم صفوة الصفوة.

٤ ـ هـل نريـد التعليم التقليدي؟.. وأجاب.. نؤسس في مدارسنا التعليم الإبداعي.

٥ ـ هـل التعليم خدمـة أم مهنة؟.. وأجاب.. التعليم رسالة سامية.

مدير عام التربية والتعليم للبنين بمنطقة مكة المكرمة سابقاً.

إنـه إنسان رائع ونبيـل.. كـافـح من أجـل أن تكون هذه القصـة واقعاً، وتصبح سبباً للنظـام التعليمي المبدع والمشـجع للإبـداع والمثير للفـكر والمبـادرات، ولكن الأمـور لا تبقى للأبد، ولا يوجد إنجازات تستحق المبالغة في الفخر بها، فكل شيء خاضع للتغيير ولنتائج التجارب المستقبلية.

هـذا الوزيـر.. يجيد لغة التواصل والإبداع في استخدام اللغة كأداة للفكر بل كدافع لـه، ففجر مكامن الإبداع لدى القيادات التربوية لتتحرك وتنجز وتبادر، وكان يحمل القدر الوافي مـن المحفـزات التربوية، لأنه يمتلك ناصيـة البعد التربوي النافذ فـي الميدان، مما عدل مـن نظرة الميدان التربوي لمركز القرار في وزارة المعـارف آنذاك وزارة التربية والتعليم حيـث كنـا، أو لنقل غالبية الميدان التربوي ينظر إلى العمـل بأنه واجب وظيفي فقط، فبعد توجيهـات الوزيـر أصبح الكل أو الغالبية العظمى يؤمنون بمـا يؤمن به الوزير، أن العمل في التربيـة والتعليم يتجاوز هذه النظرة إلى البعد الوطني، وحمل الرسالة التي بنتائجها يوجه المجتمـع بأسره إلى ما يتمناه كل مواطن صالح، فأصبح الميدان يرهف السمع والذهن إلى أقوال وتطلعات وزير التربية والتعليم، فالكلمة التي يلقيها في موقع تربوي في شمال المملكة يرددها بعده المعلمون والتلاميذ والطلاب في جنوب المملكة، في صباح اليوم اللاحق: لأنها تُعبِّـر عمـا يكنونه لهذا البلد وقيادتـه، فأصبح الكل يؤمن أنهم قـادرون على تفعيل عمليات التحويـل لمبـادرات وزيرهم إلى واقع ملموس، فلعـل وفي رأيي أن من أكبـر المنجزات في حقبـة تولـي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الوزارة هو التغير الفكري في الميدان التربوي مـن الوظيفـة إلى المهنيـة المتطلعة لكل ما هو جديـد وإلى السعي إلـى المبادرات وتحدي الواقـع لتقديم كل ما هو جيد وعدم الانتظار مـن الجهاز المركزي في الرياض، لتحديد ما يمكن أن يقدم لها بل أصبحت المدارس وإدارات التعليم تتسابق إلى مواطن الإبداع.

يشهد لمعالي الوزير.. أسلوبه الإداري الفريد والمبني على إشراك الميدان في اتخاذ القرارات وبخاصة المتعلقة بالميدان ومسيرته، وذلك من خلال استشراف رأى الميدان التربـوي بالاجتماع مع نخبة من المعنيين (مديـري مدارس، معلمين، مشرفين، مديري التعليـم) وطرح ما هو مقدم عليه لمناقشته وأخذ الرأي فيه وكيف إمكانية تطبيقه وهذا

زاد مـن حماسـ الميدان لأنه شعر أن ما يقدم له ليسـ لأنه يشعرفرضاً وتعليمات، بل هو ما يراه غالبية المنفذين، فبهذا ارتفعت درجة النجاح والصواب إلى أعلى المستويات.

مـن الإنجـازات.. التـي كان لهـا التأثير فـي العمل الانفتـاح على المجتمـع، فلم تعد المدرسة تعمل في منأى عن المستفيدين منها، بل أصبح ولي الأمر والقادرون في المجتمع والمهتمـون يسهمـون مـع المدرسة في تربيـة الأبناء، ويقدمـون ما يـرون أنـه في صالح أبنائهـم.. إشراك ولي الأمر فـي اللجـان التـي تخدم العمل الميداني كمجالس المدارس والمجلس التعليمي بالمحافظة أو المنطقة التعليمية، ووجدنا لهذا مردوداً إيجابياً.

النشـاط المدرسـي.. لم تكن أوجه النشاط المدرسي غائبـة في السابق، ولكنها لم تكن بذلك الحضور الذي شاهدناه بعد تولى الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الوزارة، فقد أصبـح النشـاط الطلابي صورة مشرقة في جبين العمل التربـوي أثرى صدق المقولة أن النشـاط المدرسي هو الثراء الحقيقي لشخصية الدارسين، فبرزت من خلال الفعاليات شخصيـات لم تكن معروفة بهذا القـدر من العطاء من العاملين ومن الطلاب، من حيث المشاركات ومن حيث التنظيم وإدارة الفعاليات، وكان لنا في جدة:

- الـدورة المدرسيـة الأولى المحلية عـام ١٤١٩هـ، وكانت تحت شـرف خادم الحرمين الشريفين.

- الدورة العربيـة المدرسية (١٥) عام ١٤٢٥هـ كانت تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير عبد المجيد بن عبد العزيز آل سعود رحمه الله، التي برزت من خلالها قدرة الشاب السعودي على إدارة وتنظيم الفعاليات العالمية مهما كان حجمها.

مـن المنجـزات.. التـي أرى أنهـا قدمت الشيء الكثيـر للعمل التعليمـي والتربوي (اللقـاءات التربوية) على اختلاف تعددها ونوعهـا، والتشريع الذي وضع لها وتنظيمها، فمن اللقاءات المدرسية وحوار أعضاء المدرسة للرقي بمستوى العمل في مؤسستهم إلى اللقـاءات على مستوى إدارات التعليـم، التي كان يُدعى لها عدد من المديرين والمعلمين وبعضـ الطلاب للمشاركـة، وانتهاء بلقاءات القيـادات التربوية التي كانـت تتم كل عام

دراسي، رَبَّت هذه اللقاءات في العاملين في الوزارة والميدان التربوي القدرة على الحوار والاستماع والبحث عن الحقيقة، التي تثري العمل التربوي في الميدان.

من المنجزات في الحقبة الذهبية..

تقنيــة العمل واللحاق بركب العمل التقني العالمي، فقد كان استخدام الحاسب الآلي فــي العمل المدرسي قبــل ذلك أسلوب يعاقب عليه وبعد أن وظفت التقنية في كل الأعمال فتسابــق العاملون فــي كل المجالات علــى الاستفادة منهــا حتى أصبحــت وزارة التربية والتعليــم تقــود العمل التقني علــى كل المستويات، وهــذا الإنجاز يشهــد لمعالي الدكتور محمــد بــن أحمد الرشيد وإخوانه في تلك الحقبة، حيث لم يكــن الدافع لإتقانه التحفيز الوظيفــي، بل كان الدافع إلى التطــور والتطوير في الميدان وعند الأفراد تبدلت النظرة، فتسابقوا بقوة لتطوير أنفسهم والرقي بمستوى أدائهم.

الإنجاز الحقيقي لا يكون في المبنى.. أو المصنع، بل يكون في تغيير وتطوير مفاهيم العاملين لما هو أفضل وأنجع، فقد كان لفكر الدكتور محمد بن أحمد الرشيد وما يحمله تجاه هذا الوطن وقيادته، وما يُعبر عنه دائماً في لقاءاته التربوية مع الميدان الأثر الكبير، ولعلــي أستدل بمثــال واحد ألا وهو استجابــة مجموعة من العاملين فــي إحدى قرى مكة المكرمــة للمضاميــن التي يدعو لها جزاه الله خيراً، فأسهموا فــي بناء (مدرسة سبوحة الابتدائيــة)، فعندما ظهر للمعلمين أن مبنــى المدرسة لا يتوافق مع تطلعاتهم، وأن دوره فــي التجديد في رزنامة المباني المدرسية قد يطــول، اتفقوا على تجديد المبنى، فحمد لهم هذا الدور وذاك العطاء، وما كان ذلك إلا استجابة لفكر وزير التربية والتعليم، الذي يــرى أن دور المواطن يجب أن يتعدى إلى المساهمة في بناء الوطن بكل ما يستطيع، وألا يجعل الدور فقط للدولة، لأن المواطن جزء من الدولة، فما يقدمه لا يعيب المسؤولين في الوزارة، بل يمنحهم الفرصة للعمل في موقع آخر لا تتوفر به مثل هذه النخبة.

التربية الخاصة..

لم تأخذ التربية الخاصة حقها بمثل ما تحقق لها منذ تولي الدكتور محمد بن أحمد الرشيد الوزارة، فقد شهدت التربية الخاصة منذ العام ١٤١٧هـ نقلة نوعية في برامجها بدءاً بتحويل اسمها من الأمانة العامة للتعليم الخاص إلى الأمانة العامة للتربية الخاصة، وهذا التحويل أعطى نظرة شمولية لإستراتيجيات الأمانة حيث وجهت برامجها لفئات أشمل من الفئات التي كادت تنحصر في معاهد الصم والبكم ومعاهد التربية الفكرية وقليل من برامج ضعاف السمع، حيث استحدثت برامج مثل صعوبات التعلم وبرامج التوحد وبرامج متعددي العوق، وبرامج العوق الجسمي والحركي وبرامج الموهوبين، كما ركزت الأمانة في إستراتيجياتها المكونة من عشرة محاور على برامج الدمج، وهذا التوجه أعطى للأمانة فرصة التوسع في برامجها على المستويين الكمي والكيفي، حيث ارتفع عدد المعاهد والبرامج خلال السنوات الثلاث الأولى على مستوى المملكة من ٤٨ معهداً وبرنامجاً إلى ٢٢٦ معهداً وبرنامجاً وهكذا استمر النمو في السنوات اللاحقة.

كما حظيت.. التربية الخاصة في تعليم جدة بنصيب وافر من هذا الاهتمام، وكانت من أوائل الإدارات التعليمية التي سارعت لتبني عملية الدمج، وخاصة طلاب التربية الفكرية في مدارس التعليم العام وفتح أول برنامج في مدرسة (البيروني الابتدائية عام ١٤١٧هـ)، وبدأ التوسع في هذه البرامج حتى وصلت خلال بضع سنوات إلى ٥٣ برنامجاً، كما استحدث برنامج التوحد وبرنامج لمتعددي العوق عام ١٤١٨هـ وبرنامج لصعوبات التعلم ١٤١٧هـ، وزادت وتيرة هذ التوسع في برامج الدمج أثر توجيه معالي وزير التربية والتعليم الدكتور محمد بن أحمد الرشيد، بعد زيارته لمعهد التربية الفكرية بصحبة وكلاء الوزارة ومديري العموم في جميع مناطق المملكة، وتوج هذا الاهتمام موافقة معاليه على افتتاح مرحلتي المتوسطة والثانوية للتربية الفكرية عام ١٤٢٣هـ، وهي تجربة تُعد الأولى من نوعها لهذه الفئة، حيث أتاحت للطلاب فرصة الاستمرار في الدراسة سنوات إضافية، بدلاً من إحالة كل طالب بلغ ١٥ عاماً إلى الشؤون الاجتماعية، ومن ثم

لا يجـد أمامه خياراً سوى المكوث في البيت واستبدال الدراسة بالإعانة في مرحلة سنية هـو بحاجة إلى الرعاية والاهتمام، وبلغت درجة الاهتمام بهذه الفئات أن يفتح فصل ولو لطالـب واحد يُعاني من حالـة استثنائية تدخل في نطاق خدمات التربية الخاصة، وأذكر أن حالـة نادرة تصنـف (بمتلازمة براذويلي)، وهي حالة تعانـي من اضطراب هرموني يـؤدي إلى حالة عدم الشعور بالشبع اعتمدت الوزارة فتح فصل لهذا الطالب، في إحدى المدارس بجدة وهو اليوم يواصل دراسته المتوسطة.

وسعيـاً لتعزيـز هذا التوجه نحو الدمـج أقيم في جدة المعسكـر الكشفي الثاني عام ١٤١٩هـ ضم وفـوداً من جميع معاهد وبرامج التربية الخاصـة في المملكة ومعهم بعض الطلاب مـن التعليم العام، وكان اللقاء برعاية المشرف العـام للتربية الخاصة الدكتور ناصـر الموسى، وفي عـام ١٤٢٠هـ أقيم تجمع الإخاء الرياضـي الأول شاركت فيه جميع معاهد وبرامج التربية الخاصة بالمملكة، وشارك معهم أكثر من ١٥ ألف طالب من التعليم العام، وحظى هذا التجمع برعاية كريمة من صاحب السمو الملكي الأمير عبدالمجيد بن عبـد العزيز آل سعود أمير منطقة مكة المكرمة رحمه الله في الأيام الأولى من مباشرته لمهام عمله.